



مركز البيدر للدراسات والتخطيط

Al-Baidar Center For Studies And Planning

هل يمكن للعراق أن يلعب دور الجسر في الخليج؟

كاثرين هارفي - بروس ريدل

ترجمة وتحرير: مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكومية، وغير ربحية، تأسس سنة ٢٠١٥م، ومُسجل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الامانة العامة لمجلس الوزراء.

ويسعى المركز للمساهمة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسية التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام، ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويسعى المركز لدعم الاصلاحات الاقتصادية والتنمية المستدامة وتقديم المساعدة الفنية للقطاعين العام والخاص، كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص، والنهوض به لتوفير فرص عمل للمواطنين عن طريق التدريب والتأهيل لعدد من الشباب، بما يقلل من اعتمادهم على المؤسسة الحكومية، ويساهم في دعم اقتصاد البلد والارتقاء به.

ويسعى ايضاً للمساهمة في بناء الانسان، باعتباره ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لاعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني وتطبيق رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الاخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بانواعه كافة، ادارية ومالية وفكرية واخلاقية وغيرها.

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org

هل يمكن للعراق أن يلعب دور الجسر في الخليج؟

كاثرين هارفي - بروس ريدل

شهدت العلاقات بين السعودية والعراق تحسناً تدريجياً منذ عام ٢٠١٥، حيث حدثت عدد من التطورات الملحوظة في الأشهر الأخيرة. ففي نوفمبر الماضي تم فتح معبر عرعر الحدودي وهو المعبر الأساسي بين البلدين، لأول مرة منذ ٣٠ عاماً. وكان البلدان قد وقعا في أواخر آذار/مارس، خلال زيارة قام بها رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي إلى الرياض، عدداً من الاتفاقيات التي تغطي العلاقات الاقتصادية والثقافية. ومن أهم ثمارها أن التزمت المملكة بزيادة كبيرة في الاستثمار في العراق، ما يصل إلى ٣ مليارات دولار، من المجموع الحالي البالغ نحو ٥٠٠ مليون دولار. ووفقاً للتقارير، وبعد أقل من ١٠ أيام من رحلة الكاظمي، استضافت حكومته محادثات مباشرة بين السعوديين ومنافسهم الإقليمي إيران، حيث أفادت التقارير أن المحادثات ركزت بشكل كبير على اليمن.

وكانت السعودية قد قطعت علاقتها مع إيران بعد أن أدت المظاهرات إلى تدمير مقراتها الدبلوماسية في إيران، ولكن في الواقع، استخدم الملك السعودي سلمان ذلك الحدث كذريعة لقطع العلاقات. ومن المحتمل أن يكون من قبيل الصدفة، أنه قبل يومين من قطع السعوديين علاقاتهم الدبلوماسية مع إيران، قاموا رسمياً بإعادة فتح سفارتهم في بغداد للمرة الأولى منذ ٢٦ عاماً، وهو المشروع الذي كان قيد الإنشاء منذ العام الماضي. يعتبر الملك سلمان وابنه ولي العهد الأمير محمد بن سلمان، هما القادة الأكثر معاداةً لإيران في تاريخ المملكة، لذلك فإن قرارهم بفتح الحوار الآن هو بمثابة خطوة كبيرة نحو إعادة العلاقات بين البلدين.

وفي تعليق على المحادثات، لاحظ مسؤول عراقي أن الكاظمي حريص جداً على أن يلعب العراق دور «الجسر» بين الجانبين الخصمين.

تبشر المحادثات التي يستضيفها العراق بدناميكية جديدة محتملة في العلاقة بين إيران والعراق و السعودية باعتبارهم اللاعبين الرئيسيين الثلاثة في الخليج، والتي استمرت عقوداً في طور التكوين.

تأريخ موجز لتوازن متغير

منذ عام ٢٠٠٣، غالباً ما ينظر المعلقون الخارجيون إلى الخليج على أنه نظام ثنائي القطب، يشكله التنافس بين إيران والمملكة العربية السعودية. لطالما كان الشرق الأوسط المعاصر متعدد الأقطاب، ومن وجهة نظر تاريخية، تعتبر منطقة الخليج العربي شبه الإقليمية ثلاثية الأطراف.

فبدءاً من أوائل سبعينيات القرن الماضي، عندما انسحبت بريطانيا من المنطقة، تنافست كل من إيران والعراق والمملكة العربية السعودية للهيمنة على المنطقة. إيران التي كانت آنذاك تحت حكم الشاه وتعد الأضخم والأقوى بين اللاعبين الثلاثة، تمكنت من فرض سيطرتها على المنطقة بالكامل.

وكان العراق البعثي ثاني أكبر اللاعبين، يسعى إلى ترسيخ هيمنته على الجانب العربي من الخليج، فهيمن بالفعل على ممالك الخليج العربية بما في ذلك المملكة العربية السعودية. وكان السعوديون أضعف الثلاثة، ومع وجود جيش بالكاد يمكن الحديث عنه. وفي مناقشاتهم مع الاثنين الآخرين حول أمن الخليج، كان هدفهم إحباط عمل الشركات المهيمنة لجيرانهم الأكبر، مع تأكيد سيطرتهم على الإمارات الأصغر حجماً المطللة على الساحل الخليجي.

وفي هذا السياق، يمكن اعتبار المملكة العربية السعودية صاحبة التوازن الخليجي. ووفقاً للنظرية الواقعية، فإن حامل التوازن في نظام ميزان القوى هو الدولة التي لا تنحاز بشكل دائم إلى أي دولة أخرى أو تحالف بين الدول. وهدفه هو المساواة بين المحاور المتنافسة، والتأرجح ذهاباً وإياباً حسب الضرورة.

وفي حالة المملكة العربية السعودية في سبعينيات القرن الماضي، كان أحد الشروط الأساسية لقدرتها على الاضطلاع بدور الموازنة هو أن علاقاتها مع كل من إيران والعراق أفضل من علاقة أي منهما بالآخر. كان السعوديون بالتأكيد حذرين من طموحات الشاه الإمبريالية، لكن كلا البلدين كانت تجمعهما الموالاتة للولايات المتحدة. وعلى الطرف الاخر، لم يكن السعوديون يثقون في صدام حسين في العراق، ولكنه كان على الأقل مواطناً عربياً سنياً. وعندما كان الشاه أو صدام يدفع بسياسة إقليمية معينة لا يجذبها السعوديون، كانوا يتحولون نحو الآخر لإحباط المبادرة وإفشالها.

تسببت الثورة الإيرانية والحرب الإيرانية العراقية بإزعاج وإخلال عملية التوازن الدقيقة التي كان يتخذها السعوديون. والواقع أن السعوديين، الذين ينظرون إلى إيران الثورية باعتبارها التهديد

هل يمكن للعراق أن يلعب دور الجسر في الخليج؟

الأكبر، وقفوا إلى جانب العراق البعثية في تلك الحرب. على الرغم من أن العديد من المحللين يشيرون إلى ذلك على أنه الوقت الذي بدأ فيه التنافس السعودي الإيراني ، إلا أن هدف السعوديين في ذلك الوقت كان حقاً إعادة تأسيس التوازن بين اللاعبين الأكبر في الخليج. فعلى الرغم من أن العراق بدأ تلك الحرب الرهيبة بلا شك، إلا أن إيران كانت الخصم الذي رفض إنهاءها حتى عام ١٩٨٨.

من ناحية ، تحالف السعوديون مع العراق وقدموا لها كل دعم، ما دامت إيران مستمرة في الحرب، ولكنهم ظلوا يتواصلون مع إيران، وهو أمر بالغ الأهمية. على سبيل المثال، سافر وزير الخارجية السعودي آنذاك سعود الفيصل إلى طهران في عام ١٩٨٥، في ذروة الحرب. وقد وصلت العلاقات السعودية الإيرانية إلى أدنى مستوياتها بعد موسم الحج عام ١٩٨٧، عندما بالغت قوات الأمن السعودية في رد فعلها على مظاهرة إيرانية وقتلت ٤٠٢ من الحجاج معظمهم من الإيرانيين. ولكن في موسم الحج في العام التالي، الذي تزامن مع نهاية الحرب، قام السعوديون ببادرة طيبة هامة تجاه الإيرانيين حين عبر الملك فهد عن أسفه لغياب الحجاج الإيرانيين بسبب أحداث العام السابق. كان هدف السعوديين إعادة تأسيس علاقة فعالة مع إيران بحيث تتمكن من إعادة التوازن الخليجي بمجرد انتهاء الحرب.

كان غزو صدام حسين للكويت في العام ١٩٩٠ بمثابة صدمة للرياض، كما أدى إلى تعليق قدرة السعوديين بشكل دائم على التآرجح بين إيران والعراق. حيث قطع السعوديون العلاقات الدبلوماسية مع العراق، وأعربوا عن أملهم في أن يتم استبدال صدام حسين. وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا متحمسين بشدة للغزو الذي قامت به إدارة جورج دبليو بوش للإطاحة بصدام، إلا أنهم كانوا قد أيدوا في التسعينيات والعقد الأول من القرن الحالي خططاً لإثارة انقلاب في بغداد لإحلال زعيم عراقي جديد في السلطة يكون جنرالاً عربياً سنياً بإمكانهم التعامل معه.

والآن ، بالطبع، نعلم أن الغزو الأمريكي لم يجلب ديكتاتوراً عربياً سنياً آخر، بل نظاماً برلمانياً يهيمن عليه الشيعة. لم ينظر الملك السعودي عبد الله، الذي حكم البلاد في الفترة من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١٥، إلى العراق الجديد بقيادة الشيعة باعتباره شريكاً للموازنة مع إيران؛ بل رأى فيه حليفاً تابعاً لإيران، ومنصة إطلاق لطموحاتها في الهيمنة. وكان هذا رد فعل مبالغاً فيه من جانب الملك عبد الله، فالقيادة السعودية الحالية أكثر تقبلاً للعراق الذي يقوده الشيعة، حتى لو كانت بلا شك ترغب في أعماقها عراقاً يقوده السنة.

لكن عبد الله كان محققاً بخصوص شيء واحد، فعندما كان صدام في السلطة، كانت السعودية اللاعب الخليجي الذي يتمتع بأفضل العلاقات مع كلا البلدين الآخرين، وبمجرد تمكين الشيعة العراقيين في بغداد، الذين يتمتعون بعلاقات عميقة مع أبناء مذهبهم في إيران، خسر السعوديون هذه الميزة المهمة . إن العراق الذي يتمتع بطبقة قيادية يهيمن عليها الشيعة والعرب في الوقت نفسه من المرجح دوماً أن تكون له علاقات أفضل مع كل من إيران والمملكة العربية السعودية مقارنة بالعلاقات بين كل من البلدين الآخرين.

ففي حين كانت المملكة العربية السعودية تتمتع ذات يوم بميزة القدرة على التآرجح بين دولتين يعتبران من أقوى جاراتها في الخليج، فإن هذه الصلاحية الآن تذهب إلى العراق. والواقع أن العراق، بعد أن أصابه الشلل بسبب عقود من الحرب، أصبح اليوم الطرف الأضعف بين اللاعبين الثلاثة في الخليج. وباختصار، فالعراق أصبح مالكا للتوازن الخليجي وهو الدور الذي لعبته السعودية سابقا.

دور جديد للعراق؟

في السنوات الأخيرة، سعى العراق إلى انتهاج سياسة خارجية قائمة على عدم الانحياز لاي طرف، في ظل علاقات متوازنة مع كل من إيران والمملكة العربية السعودية. وغالباً ما يحدد رؤساء الوزراء العراقيون الرحلات إلى طهران والرياض معاً من أجل تحقيق هذا التوازن. وكما قال رئيس الوزراء العراقي آنذاك حيدر العبادي في عام ٢٠١٧ ، إن العراقيين يرفضون أن يكونوا جزءاً من سياسة المحاور. في الواقع ، قال إن العراق كان ضحية للمنافسات الإقليمية.

سيتمكن العراق في حالة الاستمرار في عدم انخيازه إلى أي من الطرفين من الاستفادة من أن يقوم بالدور الذي قامت به السعودية في الماضي، بالإضافة إلى أن يكون جسراً بين إيران والمملكة العربية السعودية، كما يبدو أن رئيس الوزراء الكاظمي ينوي القيام به حالياً.

في الواقع يعتبر العراق هو المكان الطبيعي الذي تحل فيه إيران والمملكة العربية السعودية خلافتهما. فالعراق يريد رأب الصدع بين السعودية وإيران. وكما علق المسؤول العراقي من خلال المحادثات التي استضافها العراق، حيث قال إنّ من مصلحة العراق أن يلعب هذا الدور. فكلما ازدادت المواجهة في المنطقة كلما ازدادت المواجهة هنا (في العراق). وإن الوفاق بين السعودية وإيران

سيؤدي إلى الهدوء في المنطقة و العراق معاً.

ليس من الواضح إطلاقاً على المدى القريب ما إذا كان العراق سيكون قادراً على القيام بذلك. وليس من المؤكد أيضاً بأن المملكة العربية السعودية وإيران لديهما بالفعل الإرادة الحقيقية للمصالحة. وبحسب ما ورد، فقد ركزت المحادثات حتى الآن على الحرب في اليمن. فالسعوديون غارقون هناك في مستنقع يكلفهم ثروة كبيرة. بينما تدعم إيران المتطرفين الحوثيين من خلال إنفاق مبالغ زهيدة عليهم. تريد السعودية من إيران أن تقنع الحوثيين بإنهاء الحرب التي ينتصرون فيها والتي تتعرض فيها المدن السعودية لتهديد مستمر بالهجمات الصاروخية والطائرات المسييرة. فإذا ما أسفرت المحادثات التي بتوسط فيها العراق عن وقف إطلاق النار ، فسيكون ذلك بمثابة تحسن كبير في إنهاء التوترات الإقليمية ويساعد في تخفيف أسوأ كارثة إنسانية في العالم.

ومن المرجح أن يظل العراق ضعيفاً للغاية إلى الحد الذي يجعله عاجزاً عن ممارسة هذا النوع من النفوذ على جيرانه، والذي من شأنه أن يساعد في دفع المصالحة. ولكن المحادثات السعودية الإيرانية التي يقال أنها جرت في العراق في وقت سابق من هذا الشهر قد تبشر بنشوء حراك سوف يظهر على نحو أكثر اكتمالاً في المستقبل، أو نستطيع أن نقول باختصار إن منطقة الخليج ليست ثنائية الأقطاب، بل إنها ثلاثية الأقطاب. فالعراق الذي ظل خارج الخدمة لسنوات عديدة، سيعود كلاعب رئيسي، و بمجرد حدوث ذلك، يمكن أن يساعد في تخفيف التوترات بين الاثنين الآخرين.

على الولايات المتحدة أن تدعم بحدوء الجهود العراقية. ومن مصلحتنا تخفيف التوترات الطائفية في المنطقة. وقد جعل الرئيس بايدن إنهاء الحرب في اليمن أولوية. وإنّ مساعدة بغداد هي في مصلحة الجميع لإنهاء هذه المأساة.

المصدر:

<https://www.brookings.edu/blog/order-from-chaos/2021/04/22/can-iraq-play-the-role-of-a-bridge-in-the-gulf/>